

## الفصل الخامس

### تصاعد الضغط الأوربي

#### والتغلغل الاستعماري في العالم العربي

- الثورة العربية في مصر
- الثورة المهدية في السودان
- الاحتلال الفرنسي للجزائر
- الاحتلال الفرنسي لتونس
- الأطماع الاستعمارية في مراکش
- استيلاء إيطاليا على ليبيا
- سيطرة بريطانيا على امارات الخليج و عدن وتسلطها على العراق
- الفتن الطائفية في لبنان

خضعت البلدان العربية خاصة في القرن التاسع عشر للاستعمار الأوربي فمنها من خضع لبريطانيا مثل مصر والسودان والعراق وفلسطين ومشيخات الخليج العربي ، ومنها من خضع لفرنسا مثل الجزائر وتونس والمغرب وسورية ولبنان، ومنها ما خضع للاستعمار الايطالي مثل ليبيا .

والواقع أن الشعوب العربية في هذه البلدان عملت جاهدة على اخراج المستعمر من بلادها والصمود أمام كافة تحدياته وفيما يلي نعرض لتصاعد الضغوط الأوربية على البلدان العربية، وتصاعد حركات المقاومة ضدها فنعرض للثورة العربية في مصر ، والثورة المهدية في السودان، ووقوع الجزائر وتونس والمغرب في قبضة الاستعمار الفرنسي وليبيا في قبضة الاستعمار الايطالي، وسيطرة بريطانيا على امارات الخليج، و عدن وتسلطها على العراق، والفتن الطائفية التي ساعد الاستعمار على اشغالها في لبنان، وفيما يلي نعرض لذلك .

#### الثورة العربية :

حركة وطنية ووثبة من وثبات التحرر حاول المصريون ،خلالها الدفاع عن حقوقهم وسط مؤامرة استعمارية كانت تخطو سريعا بهدف اتهام مصر وعن احداث هذه الثورة نذكر :

حادث قصر النيل (فبراير ١٨٨١) :

ولما كانت الفروق الطبقيّة والميل إلى التعصب الجنسي واضحين في صفوف الجيش نظرا لتعصب عثمان رفقي ناظر الجهادية لأبناء جلدته من الشراكسة، واستخفافه بالعنصر الوطني فكادت الوظائف الهامة والرتب والنياشين تعطى للضباط الشراكسة وغيرهم بينما حرم منها الضباط المصريون كما أن عثمان رفقي أخرج معظم الضباط المصريين في الجيش إلى المعاش قبل السن القانوني، كما كلف بعضهم بأعمال بعيدة عن الجنديّة مثل حفر الترع، ومباشرة الأعمال الزراعيّة في أراضي الخديو يضاف إلى ذلك أنه سن قانون للقرعة العسكريّة يمنع بمقتضاه الترقى من تحت السلاح إلى رتبة الضباط مما يعوق ترقى الجنود المصريين العاملين في الآليات تحت السلاح، ويجعلهم انفارا تحت تسلط الضباط من الأتراك والشراكسة .

وقد دفعت كل هذه المظالم الضباط الوطنيين إلى التذمر فكتبوا عريضة وقّعوا عليها وسلمها أحمد عرابي وعبد العال حشيش إلى رياض باشا رئيس مجلس النظار في يناير ١٨٨١ يطالبون فيها بوقف

المحسوبية والظلم، وأن يكون وزير الحربية مصرياً. ولما أحس رياض بخطورة الموقف قام باستدعاء عرابي وعبد العال حشيش وعلى فهمل وأخذ في توجيه النصائح لهم موضحاً خطورة ما يترتب عليه عرض شكواهم من مخاطر، ولكن الضباط تمسكوا بموقفهم فعرض رياض باشا المسألة على مجلس النظر الذي عقد بقصر عابدين تحت رئاسة الخديو، فقرر المجلس القبض على الضباط الثلاثة واحالتهم إلى مجلس عسكري يشكل لمحاكمتهم بمقتضى القوانين العسكرية<sup>(١)</sup>، وأخفى الأمر على الضباط .

ولما استدعى الضباط الثلاثة لوزارة الحربية بحجة المداولة في بعض الترتيبات التي كانت تعد لموكب كان سيصاحب إحدى الأميرات بمناسبة زواجها أحسوا بأن هناك مكيدة مبيتة لهم، فأخذوا حذرهم، وقبل انتقالهم إلى الوزارة تركوا تعليمات لضباطهم بالتوجه إلى مقر الوزارة لانتقادهم إذا لم يعودوا في ظرف ساعتين وقد تحقق ما توقعه القادة الثلاثة فعند وصولهم إلى مبنى الوزارة تم اعتقالهم، ثم انعقد مجلس في وزارة الحربية لمحاكمتهم، وبينما كانت جلسة المحاكمة منعقدة افتتحت الفرقة الأولى مشاة بقيادة البكباشي محمد عبيد مبنى الوزارة وأحدثوا فيها ضجة، ودخلوا الحجرة التي كانت تجرى فيها المحاكمة، وعاملوا عثمان رفقي وزير الحربية معاملة سيئة وكادوا يقتلون به لولا أنه هرب، ثم ساروا بعد ذلك في مظاهرة عسكرية إلى قصر الخديوي مطالبين بعزل وزير الحربية، والنظر في شكواهم الخاصة بوضعهم على قدم المساواة مع الضباط الشراكسة في الترقية، ولما أحس الخديو بعدم جدوى المقاومة رضخ للأمر الواقع وعزل عثمان رفقي وبذلك نجح العرابيون في فرض إرادتهم، وتأكدت زعامة عرابي على الجيش .

ولما كان الشعب المصري يريزح تحت المظالم فقد بارك حركة الضباط حيث وجد فيها تنقيساً عن

آلامه .

مظاهرة عابدين (٩ سبتمبر ١٨٨١) والتطورات التي أعقبتها :

لما برزت خطورة العرابيين، حاول الخديو تشتيت شملهم بنقلهم خارج القاهرة، مما جعل عرابي يتوقف عن اطاعة الأوامر، ويعلن حشد قواته في ميدان عابدين .

وقد تجمعت قوات العرابيين في ميدان عابدين في مظاهرة عسكرية، ونزل اليهم الخديوي الذي سأل عرابي عن أسباب حضوره بالجيش، فأجاب عرابي بأنه جاء بقواته ليعرض مطالب الجيش والشعب التي تنحصر في عزل وزارة رياض، وتشكيل مجلس للنواب، وزيادة عدد الجيش طبقاً للقدر المعين في فرمانات السلطانية .

ولما أوضح الخديوي لعرابي أن مطالبه ليست من اختصاص الجيش كان رد عرابي أنه ينطق

باسم الأمة المصرية كلها .

ولما تحرج الموقف بالنسبة للخديوي خاصة بعد أن رفض عرابي أن تترك قواته ساحة عابدين إلا بعد أن تجاب مطالبه وافق على تغيير الوزارة فتم عزل رياض باشا وعين مكانه شريف باشا، وهكذا سار العرابيون من نصر إلى نصر .

وفي أعقاب ذلك تمت انتخابات مجلس النواب وعين سلطان باشا رئيساً للمجلس، كما سارت وزارة شريف تؤدي وظيفتها بطريقة ديمقراطية وكادت تستقر لها الأمور لولا تدخل إنجلترا وفرنسا لافساد الموقف وافتعال الأزمات. فلما اجتمع مجلس النواب طلب المراقبان الماليان الحد من سلطة المجلس في

(١) دار الوثائق: أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية. صورة خطاب من رئيس النظر إلى القائد العام في ٣٠ يناير ١٨٨١.

اقرار الميزانية.ولبث روح الشقاق بين البرلمان والخدوي أرسلت كل من انجلترا وفرنسا فى ٧يناير ١٨٨٢ مذكرة مشتركة إلى الخديوى تتضمن تأييد الدولتين له بكل الوسائل للتغلب على الصعوبات التى تواجهه ومع ان الحكومة رفضت المذكرة فقد قبلها الخديوى بالشكر والعرفان ولما أحس شريف باشا بخطورة الموقف تقدم بقانون يتضمن منع التواب من الاشراف على الميزانية مما أثار ثائرة أعضاء المجلس فرفضوا القانون وأصروا على ضرورة اشراف المجلس على الميزانية، وعزل شريف باشا إذا لم يوافق على ذلك وانهى الأمر باستقالة شريف باشا وانتقال مقاليد الأمور إلى العسكريين، وتولى محمود سامى البارودى رئاسة مجلس النظار وخلال ذلك اشتدت الأزمة بين العرابيين والخدوي خاصة بعد مؤامرة الجراكسة ورفض الخديو التصديق على الاحكام الصادرة ضدهم .

### العرابيون والتدخل الاجنبى :

وقد سارت الأمور بما لا يعطى مجالا لأى تدخل أجنبى، وضمن عرابى مسئولية حفظ النظام وصيانة الأمن ولكن انجلترا وفرنسا ما ان وصلت اساطيلهما الحربية إلى الاسكندرية حتى تقدمتا بمذكرة مشتركة اخرى فى ٢٥/٥/٨٢ تطلبان فيها اسقاط وزارة البارودى، وابعاد عرابى من مصر وتحديد اقلية على فهمى وعبد العال حلمى فى الريف .

أن وزارة البارودى قد رفضت هذه المذكرة فقد وافق عليها الخديو، ونتيجة لذلك قدمت الوزارة استقالتها ونظرا للضغط المتوالى من جانب العسكريين ظل عرابى ناظرا للجهادية .

وخلال ذلك الموقف المتوتر أرسلت الدولة العثمانية بعثة لتقصى الحقائق بقيادة "درويش باشا" فى محاولة منها لتثبيت السيادة التركية على مصر، وكانت خطة درويش الاستفادة من الخلاف بين الخديو والعرابيين .

وفى محاولة من الخديوى لاجراج مركز العرابيين حاول اثبات عدم قدرتهم على حماية ارواح الاجانب فسعى إلى أحداث شغب فى القاهرة ولما فشل فى ذلك تم تدبير مذبحة الاسكندرية التى بدأت حوادثها يوم الأحد ١١ يونيو ١٨٨٢ على أثر مشاجرة فردية بين مالطى من اتباع الانجليز وبين مكارى مصرى بسبب الخلاف على أجر حماركان الأول قد أستاجرته من الثانى ، وتطور الأمر بينهما إلى حد قيام المالطى بطعن المصرى بسكين<sup>(١)</sup> فجرحه وفى أثر ذلك كثرت الغوغاء واشتعل الموقف وتطور الأمر إلى حد ضرب بعض الأجانب للأهالى بالرصاص وامتداد المشاجرات فى الثغر كله واستمر القتال نحو خمس ساعات لم يستطع أحد خلالها السيطرة على زمامه إلا بعد تدخل القوات العسكرية المرسله بأمر عرابى .

ومهما كان الأمر فان ماحدث قد أعطى الفرصة للانجليز لاتخاذ هذه الاحداث ذريعة للتدخل المباشر بحجة عجز العرابيين عن حماية ارواح الرعايا والقناصل الأجانب فى مصر .

وفى يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ بدأ الاسطول الانجليزى فى ضرب الاسكندرية ، وقد صمدت القوات المصرية أمام قذائفه لفترة ، ولكن ضعف المدفعية المصرية وقدمها لم يحقق لهم الاستمرار فى الصمود والقتال . ونزلت القوات الانجليزية إلى الاسكندرية وظهر الخديوى اتحيازه لها ووضع نفسه تحت حمايتها مما دفع بالعرابيين إلى الاسحاب منها ، وفى اعقاب ذلك تم احراقها .

ونتيجة لتطور الاحداث ، واتضح موقف الخديوى المؤيد للانجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من كافة طوائف البلاد ليعرض عليهم الموقف وعقدت الجمعية العمومية اجتماعها فى

(١) الوقائع المصرية فى ١٣ يونيو ١٨٨٢ .

وفي ٢٠ يوليو ١٨٨٢ أعلن الخديو عصيان عرابي وأصدر أمرا بعزله من منصبه ، وقد رفضت الجمعية العمومية هذا القرار واصرت على ابقاء عرابي على راس نظارة الجهادية .  
وفي وسط هذا الجو من الانقسام بين العرابيين والخديو نشبت الحرب مع الانجليز ، وأحكم عرابي تحصين مواقعه في كفر الدوار ، مما اضطر الانجليز إلى نقل عملياتهم الحربية إلى منطقة قناة السويس . وخلال ذلك استطاعت انجلترا تغيير ميزان المعركة بضغطها على السلطان حتى تم اصدار منشور بعصيان عرابي ، وانتهى الأمر بهزيمة العرابيين في التل الكبير ودخول الانجليز إلى القاهرة في ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ .

وهكذا انتكست اعلام الثورة العرابية التي قامت من أجل الدفاع عن شرف البلاد وكرامتها ضد الظلم الداخلي والتدخل الخارجي وأحس الشعب المصري بمرارة الهزيمة ، ولكنه سرعان ماالتقط انفاسه فانتقلت الشعلة من جيل الثورة العرابية إلى الجيل الذي حمل الراية بعدها بزعامة مصطفى كامل .  
الحركة المهديّة في السودان :

تزعّمها محمد أحمد المهدي ، الذي نادى بالزهد في الدنيا والعمل للأخرة ، والجهاد في سبيل الله ، والعمل على اصلاح أحوال المسلمين داخل السودان وخارجه والعودة بالتشريع الاسلامي إلى عهود عصر الاجتهاد الأول قبيل افتراق الكلمة وظهور المذاهب الأربعة كما دعا إلى ضرورة ربط السياسة بالدين وقد أخذ المهدي في نشر دعوته سرا في عام ١٨٨٠ واتخذ من مدينة آبا البعيدة عن السلطة الحكومية في الخرطوم مركزا لانطلاق دعوته حتى يتهيأ له المناخ المناسب هناك ، ويتمكن من عدم منأواة الحكومة له ولما كثر اتباعه ويزغ نجمه جهر بدعوته ، وتحمس له انصاره ، وتسابقوا في تنفيذ تعليماته .

وقد استغل المهدي تلك الحماسة الدينية من انصاره وضيّقهم من سوء الادارة المصرية التي سيطرت عليهم فترة طويلة<sup>(١)</sup> فنادى بضرورة اخراج الاوربيين والمصريين من السودان ، والامتناع عن دفع أي ضريبة للحكومة ، وتوزيع الثروة على الأهالي بالتساوي<sup>(٢)</sup> .

ولما وصلت أبناء هذه الحركة إلى القوات المصرية العثمانية المتمركزة في السودان ، أرسلت قوة للقبض على المهدي ولكنه استطاع الفتك بها ، والقضاء على معظم أفرادها مما زاد من شأنه ، يضاف إلى ذلك أنه تمكن من الانتصار على القوات الحكومية وقتل قائدها والاستيلاء على اسلحتها ، مما قلل من شأن الحكومة ، وجعل الأهالي ينظرون إلى المهدي وكأنه المنقذ والمخلص لهم<sup>(٣)</sup> .

ونظرا لخطورة الموقف عينت الحكومة المصرية " عبد القادر باشا حلمي " ناظرا على السودان وملحقاته وطالبته بتوحيد الادارة في السودان ومواجهة اتباع المهدي وبالفعل استطاع اخماد الثورة في منطقة سنار والجزيرة وبدأ يضيق على المهدي المسالك ، ولكن المقام لم يطل به في السودان حيث صدرت الأوامر باستدعائه نتيجة للضغوط الانجليزية على الخديو فغادر الخرطوم إلى القاهرة في أواخر ابريل ١٨٨٣ . وفي اعقاب ذلك تمكن المهدي من الاستيلاء على كردفان واستسلام عاصمتها الأبيض

<sup>(١)</sup> Cromer : Modern Egypt p. ٢٧٦.

<sup>(٢)</sup> محمد فواد شكرى : مصر والسودان - تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ص ٢٩٠ .

<sup>(٣)</sup> الرفاعي : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال القاهرة ١٩٦٦ ص ١١٩ .

لاتباعه ، ثم الاستيلاء على دارفور وهزيمة قوات الحكومة بقيادة الجنرال الإنجليزي Hicks والقضاء على معظم أفرادها ، وهزيمتهم أيضا لحملة بيكر .

وخلال تلك الفترة كانت مصر قد سقطت تحت برائن الاحتلال البريطاني ، واجبرت على الخروج من السودان ، وتولى ادارته القائد الإنجليزي غوردون الذى تمكن اتباع المهدي من محاصرته وقتله والاستيلاء على الخرطوم فى يناير ١٨٨٥ مما زاد من صيت المهدي ، وصار يعرف بالمهدي المنتظر (١) منذ ذلك الحين .

واستمر نفوذ المهدي فى الاتساع حتى وافته المنية وتولى عبدالله التعايشي زعامة الحركة مكانه ، وكان من أبرز ماقام به التعايشي هو إصدار أوامره إلى قواته بغزو مصر وتخليصها من الانجليز ، ولكن محاولته باءت بالفشل .

ونتيجة لما حدث قررت انجلترا ارسال حملة مصرية انجليزية مشتركة لاسترجاع السودان فى عام ١٨٩٦م تحت قيادة الجنرال كتشنر . وقد نجحت هذه الحملة فى احتلال دنقلة ، وهزيمة التعايشي فى عام ١٨٨٩م وعلان الحكم الثنائى الانجليزى المصرى على السودان (٢) .

وعند تقييمنا للحركة المهديّة يتضح انها كانت حركة سياسية ودينية معا هدفت إلى تحرير السودان من ربة الحكم الاجنبى ، وايجاد كيان خاص للسودان كما أنها عملت على اصلاح أمور الدين من الشوائب التى لحقت ، ومما يؤخذ عليها مصاحبته لنزعة شديدة من التصوف ، والادعاء بفكرة المهدي المنتظر مما أدى بها إلى الخروج عما كان يؤمل منها .

وقد انتهزت الدول الاستعمارية هزيمة اتباع المهدي وبدأت فى تحقيق أطماعها فى السودان الشرقى وشرق افريقية ، وكان لبريطانيا وايطاليا نصيب الأسد من أملاك هذه البلاد المغلوبة على أمرها.. الاحتلال الفرنسى للجزائر :

نتيجة لعلاقات الصداقة بين الدولة العثمانية وفرنسا التى ازدهرت على عهد سليمان القانوني توطدت علاقات الجزائر بفرنسا حيث تحالف " خير الدين بربروس " معها فى عام ١٥٤٣ أثناء محاصرة قلعة نيس Nice التى كان يحتلها الاسبان .

ونتيجة لتطور هذه العلاقات قامت فرنسا بتعيين قنصل لها فى الجزائر ، كما حصلت على تصريح باستخراج المرجان من سواحل الجزائر الشرقية .

وظلت العلاقات بين فرنسا والجزائر تتوتر احيانا وتحسن فى أحيان اخرى حتى جاء الاحتلال الفرنسى لمصر فى عام ١٧٩٨ فكشرت الجزائر عن اتيابها وقطع والى الجزائر علاقته بفرنسا وعلن الحرب عليها (٣) واستمرت الامور على هذا المنوال حتى تصالحت الدولة العثمانية مع فرنسا فى عام ١٨٠١ فأعاد أوجاق الجزائر علاقته السلمية مع فرنسا ، ثم توترت هذه العلاقات فى عهد الامبراطورية النابليونية بعد أن فكر نابليون فى الاستيلاء على الجزائر خاصة بعد أن تقرب واليها من انجلترا فى أعقاب معركة الطرف الآخر فى عام ١٨٠٥ ولكن مشاغله الأوربية حالت دون ذلك وبعد هزيمة نابليون وعودة الملكية إلى فرنسا تحسنت علاقات فرنسا باوجاق الجزائر الذى كان يؤمن احتياجاتها من القمح .

(١) كذب الازهر ذلك الادعاء ونفى صحته أنظر . محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ص ٨٠ - ٨٣ .

(٢) شكرى وآخرون : وثائق التاريخ الحديث والمعاصر انظر الاتفاقية الخاصة بالحكم الثنائى للسودان .

(٣) ارجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر - ترجمة عبد الجليل التميمي ، تونس ١٩٧٤ ص ١٨-١٩ .

ومما لاشك فيه أن ثروة الجزائر الاقتصادية ، وموقعها الجغرافي المتميز كانا من أبرز الأسباب التي أدت إلى تزايد أطماع فرنسا فيها خاصة وأنها كانت ترغب في إعادة تكوين امبراطوريتها مرة أخرى بعد فقدانها لها في الحروب النابليونية هذا إلى جانب أن ظروف فرنسا الداخلية كانت تدفعها إلى المغامرة خارج حدودها خاصة وأنها كانت تعاني من ضائقة اقتصادية شديدة دفعتها إلى طلب العون الاقتصادي من الجزائر ، ولما كان التجار اليهود يقومون بدور الوساطة في هذه المسألة ، فقد توسط تاجرين من اليهود في عملية شراء الحبوب من الجزائر بثمن مؤجلة ولما حانت مواعيد السداد تلكأت فرنسا في الدفع متذرة بأن الأثمان التي بيعت بها هذه الحبوب مبالغ فيها ، وأن التجارين اليهوديين كانت عليهم ديون لمواطنين فرنسيين التجأوا إلى المحكمة ، ومدعية في أحيان أخرى بأنها لم تتسلم هذه البضائع ونتيجة لذلك قام حسين باشا داي الجزائر بإرسال عدة رسائل إلى الحكومة الفرنسية بشأن ضرورة تسديد الدين ، ولكن فرنسا استخدمت أسلوب الصمت والمماطلة مما ضايق الداي وجعله يتشكك في النوايا الفرنسية بشأن تسديد الديون .

وفي ٢٩ من ابريل ١٨٢٧ انتهز الداي فرصة تهنئة القنصل الفرنسي "دوفال" له بمناسبة عيد الفطر فسأله عن السبب الذي جعل الحكومة الفرنسية لاتأبه بالرد على رسائله ، فكان رد القنصل مثيرا لحفيظة الداي ، وبعيدا عن اللياقة والدبلوماسية حيث قال له " ان ملك فرنسا وشعبها لا يحرران لك ورقة ، ولا يرسلان ردا حتى على رسالتك المرسله (١) .

ونتيجة لهذا الرد غير المتوقع نهض الداي من مكانه محتدا وصرخ في وجه القنصل وضربه بالمروحة التي كانت في يده أكثر من مرة ، ملوحا له بالخروج من مجلسه.

ولما أبرق القنصل افرنسي لحكومته بما حدث ثارت ثائرة الحكومة الفرنسية ، وتوعدت على اعتبار ان ماحدث يعد اهانة لفرنسا وشعبها ، كما ثار الرأي العام الفرنسي مطالبا بترضية عاجلة من داي الجزائر كما طالبه بدفع تعويضات عن الاضرار التي لحقت بالسفن الفرنسية من قرصنة البحر الجزائريين ولما رفض الداي تقديم هذه الترضية اعتبرت فرنسا نفسها في حالة حرب مع الجزائر ، وهددت بالانتقام المسلح ، وبدأت في محاصرة السواحل الجزائرية .

ونظراً لأن فرنسا كانت تقدر مدى الاخطار التي يمكن أن تواجه قواتها أثناء دخولها في حرب مع الجزائر فقد فتحت باب المفاوضات مع الداي أكثر من مرة على أمل ان يتقدم باعتذار يخفف من غضب الشعب الفرنسي ، وأن يتخلى عن ديون فرنسا لبلادها ، ولكن الداي اصر على عدم الاعتذار وتمسك بموقفه مما زاد من توتر الموقف وجعل فرنسا تتصنع الأسباب لاحتلال الجزائر .

ولما حاولت الدولة العثمانية التدخل للحيلولة دون نشوب هذه الحرب طلبت فرنسا الحصول على ترضية مناسبة نتيجة لما لحقها من اهانات في شخص تنصلها بالجزائر ، والمحت إلى موافقتها على حق الباب العالي في تأديب اوجاق الجزائر وذلك عن طريق قيام محمد علي والى مصر بحملة تأديبية إلى هناك يوافق عليها السلطان على اعتبار أن حاكم الجزائر من العصاة ، كما اعربت عن استعداد الأسطول الفرنسي لمساعدة قوات محمد علي ، وهددت بغزو الجزائر إذا رفض السلطان طلبها .

وقد رفض السلطان محمود الثأتي فكرة تدخل والى مصر في الجزائر ، وأمر خسرو باشا وزير البحرية ورئيس الكتاب السلطاني ببحث هذه المسألة ، كما قرر إيفاد القائد العثماني ظاهر باشا لنصح والى

(١) كوران : مرجع سابق ص ١١ - ١٢ .

الجزائر بالعدول عن موقفه المعادي لفرنسا .

ونتيجة لاعتراض فرنسا على ذلك اتصلت بمحمد علي وإلى مصر طالبة منه ارسال قواته لتأديب

حاكم الجزائر .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا اختارت فرنسا محمد علي بالذات لهذه المهمة ؟

الواقع أن محمد علي كان يملك جيشا قويا مدربا على الأسلحة الحديثة ، هذا إلى جانب أنه كان

على صلات طيبة بفرنسا .

وقد حاول محمد علي في بداية الأمر الوساطة بين فرنسا والجزائر لاصلاح ذات البين بينهما

فأرسل بكتاب إلى داي الجزائر يحذره وينصحه في آن واحد بوخامة العواقب إذا أصرع على رفض الجهود

السلمية ، ولكن رد الرداي على هذه الرسالة لم يكن مشجعا ، مما جعل محمد علي يفكر في حسم الموقف

عسكريا والزحف بقواته لاختضاع الداي وضم طرابلس وتونس والجزائر إلى أملاكه باسم السلطان (1) وقد

فشلت هذه الفكرة لعدة أسباب منها :-

١- ان الدولة العثمانية كانت ترفض امتداد نفوذ محمد علي إلى طرابلس وتونس والجزائر .

٢- أن بريطانيا كانت تخشى توسيع نفوذ محمد علي خاصة وأنه كان يميل بجانبه نحو فرنسا أكثر من

بريطانيا .

٣- تردد محمد علي في محاربة احدى البلدان الاسلامية حتى لايفقد ثقة العالم الاسلامي .

٤- اختلاف محمد علي مع فرنسا حول المبلغ الذي يمكنه الحصول عليه بعد استيلائه على الجزائر ، حيث

عرضت عليه فرنسا مبلغ عشرة ملايين فرنك في حين أنه كان يطالب بعشرين مليون فرنك.

ونتيجة لكل ذلك فشل المشروع ، وبدأت فرنسا تفكر جديا في احتلال الجزائر . فجمع الملك شارل

العاشر مجلس الوزراء الفرنسي لهذا الغرض وقرر في جلسته المنعقدة في ١٣ شعبان ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م

ضرورة الاستيلاء على الجزائر وضماها إلى فرنسا (2) ونتيجة لذلك جهزت حملة قوامها ٣٧ الف مقاتل

بقيادة الكونت بورمن Bourmont وزير الحربية في ٢٥ مايو ١٨٣٠م واستطاعت انزال قواتها على

السواحل الجزائرية ، والوصول إلى الخليج الغربي لشبه جزيرة سيدي فرج ، والاقتراب إلى مسافة ٢٥

كيلو من مدينة الجزائر . وعندئذ أخذ الداي في الاستعداد لمقاومة الفرنسيين .

كما أظهر الشعب الجزائري تضامنا كاملا معه ، وحدثت عدة اشتباكات انتهت بالقضاء على

المقاومة وتسليم الداي نفسه ، واحتلال الفرنسيين مدينة الجزائر في الخامس من يوليو ١٨٣٠ ،

واستمرار زحفهم والوصول إلى قسطنطينة وعنابة وغيرها .

وفي اعقاب ذلك أبلغ السفير الفرنسي الباب العالي بأن الجزائر أصبحت تحت سيطرة فرنسا ، وأن

شروط بلاده للجلاء عنها أحد عشر شرطا إذا قبلتها الدولة العثمانية فان فرنسا تعد باعادة الجزائر

إليها (3) وأهم هذه الشروط هي أن عودة الجزائر للسيادة العثمانية ترتبط ببقاء المنطقة الممتدة من حدود

تونس حتى سلسلة الجبال المنتهية في رأس بوجاروني Boujaronni في يد فرنسا ، وان يصبح ميناء

الجزائر تجاريا ، وألا يمتلك الاوجاق سفنا حربية ، وأن تعين الدولة العثمانية واليا على الجزائر لمدة

(1) جلال يحيى : المغرب الكبير ج٣ ص ١٠٤ .

(2) عبد الرحمن الجليلي : تاريخ الجزائر العام ج٣ ص ٣٧٩ .

(3) كوران : المرجع السابق ص ٣٩ - ٤٠ .

خمس سنوات نظير أن يكون لفرنسا بعض الامتيازات ، واشترطت فرنسا خروجها من الجزائر بتحقيق هذه الشروط. وخلال مناقشة المسألة الجزائرية حدث انقلاب في فرنسا اطاح بملكها شارل العاشر، مما أضر بحث المسألة الجزائرية لفترة. وفي اعقاب ذلك تغير الموقف الفرنسي حيث ادعى السفير الفرنسي بالأمستاتة بأنه لاحق للدولة العثمانية في الجزائر ولم تؤد المراسلات بين الباب العالي والحكومة الفرنسية لأية نتيجة، مما جعل الباب العالي يترك المسألة الجزائرية جانبا خاصة بعد زحف ثوات محمد علي على بلاد الشام وانشغال الدولة العثمانية بمواجهته وبعد أن استقرت الأمور لفرنسا في الجزائر اتجهت سياستها نحو الوصول إلى هدفين هما:

- ١- فرنسة الجزائر سكانا وارضيا واعتبارها جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وادعاء علماء الجيولوجيا الفرنسيين ان شمال افريقيا كان متصلا بساحل فرنسا الجنوبي منذ القدم (١) .
- ٢- محاربة الاسلام والعمل على القضاء على اللغة العربية في الجزائر، واحلال اللغة الفرنسية محلها وجعلها اللغة الرسمية للجزائريين .
- ٣- حرمان الجزائريين من التعليم واقتصار التعليم على المدارس الفرنسية .
- ٤- محاولة الفرنسيين اضعاف التقاليد الاسلامية واغرائهم للمرأة الجزائرية بتقليد الأوربيات ودعوتهم لها بنزع الحجاب والسفور .

ومع كل الضغوط التي تعرض لها الشعب الجزائري فقد فشلت محاولات الفرنسيين في فرجة هذا الشعب الذي حافظ على اسلامه وعروبه ، كما هبت القبائل للدفاع عن اسلام وعروبة الجزائر تحت قيادة 'محي الدين الحسيني' أحد زعماء الأشراف وابنه عبد القادر الجزائري .

الاحتلال الفرنسي لتونس :

منذ أن احتلت فرنسا الجزائر أخذت تتجه بانظارها إلى تونس، وقد تنازع السياسة الفرنسية في أول الأمر عوامل رئيسية ثلاثه هي :

- ١- الاسراع في احتلال تونس قبل وصول الايطاليين إليها .
  - ٢- رفضها قيام حدود سياسية مشتركة مع الدولة العثمانية التي كانت تحكم طرابلس .
  - ٣- رغبتها في فرض نفوذها على تونس حتى تتمكن من فرض سيطرتها الكاملة على الجزائر .
- ومن المعروف أن دول عدة نافست فرنسا في التطلع إلى تونس نتيجة للامتيازات التي منحها البايات للدول الأوربية خاصة فرنسا لدرجة أن الباي كان يعرض أموره الهامة على امبراطور فرنسا قبل اصدارها هذا إلى جانب منحه الامتيازات العديدة للفرنسيين داخل بلاده مما اعطى لفرنسا الفرصة للتدخل الفعلي في شئون تونس (١) وقد شجع فرنسا على غزو تونس ترحيب بريطانيا بهذا الغزو، وتشجيع المانيا أيضا حتى تصرف انظارها عن المشاكل الأوربية وعن التفكير في استرداد الالزاس واللورين. ولم يقف أمام اطماع فرنسا في تونس سوى ايطاليا التي وعدتها فرنسا في مد يد العون لها في الحصول على مستعمرات أخرى إذا تخلت لها عن تونس. وقد واتت فرنسا فرصة احتلال تونس عندما توغلت قبيلة تونسية داخل الحدود الفاصلة بين تونس والجزائر، وقامت بمناوشات مع بعض الرعاة. فاعادت فرنسا حملة عسكرية بحجة تأديب القبائل المعتدية وتمكنت من اقتحام الحدود التونسية والتوغل داخلها ونتيجة

(١) حلال يحيى: المرجع السابق ص ١٣١ وما بعدها.

(٢) يقولوا زيادة : تونس تحت الحماية ص ٩٥ وما بعدها

لذلك احتج الباي على الغزو الفرنسي لدى الدول الموقعة على معاهدة برلين، وناشدها التدخل لاتقاذ تونس، ولكنه لم يجد تأييدا ولا تجاوبا من أحد، وقد تلا ذلك قيام الاسطول الفرنسي بعملية ائزال بحرية فى ميناء بنزوت حيث تم ائزال جيش قوامه ثمانية آلاف جندى بقيادة الجنرال بريار<sup>(١)</sup> وأخذ فى التوجه إلى العاصمة حتى وصل إلى قصر الباي واجبره على توقيع معاهدة باردو فى ١٢ مايو ١٨٨١م والتي كان من أهم نصوصها احتلال القوات الفرنسية للمراكز التى تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل. وعلى الرغم من أن تونس كانت تابعة للدولة العثمانية فانها لم تحرك ساكنا، ولم تستطع أن تفعل شيئا حيال ما حدث .

وهكذا بسطت فرنسا نفوذها على تونس، وأخذت تعدل فى نظمها بما يحقق مصالحها، ويكفل لها السيطرة على شؤونها، فانتزعت سلطات الباي وحكومته وركزتها فى ايدي المقيم الفرنسي. ولم يقنع الشعب التونسى بما حدث، فقامت الثورة ضد الفرنسيين بقيادة "على بن خليفة" ولكن فرنسا استطاعت السيطرة على الموقف وفرضت حمايتها على تونس بموجب معاهدة "المرسى الكبير" فى يوليو ١٨٨٣<sup>(٢)</sup> والتي تعهد الباي بموجبها بقبول الاصلاحات الادارية والقضائية والمالية التى تراها الحكومة الفرنسية .

وهكذا سيطرت فرنسا على تونس من كافة النواحي فمن الناحية الاقتصادية سيطرت على مصادر الثروة والاقتصاد التونسى، كما وضعت نظاما جمركيا جعل من تونس سوقا للبضائع الفرنسية، ومن الناحية الثقافية وقتت فرنسا فى وجه اللغة العربية والفكر الاسلامى، واتجهت الى نشر اللغة الفرنسية وتنصير ابناء المسلمين هناك أما من الناحية الاجتماعية فقد عملت فرنسا على تغيير عادات وتقاليد الشعب التونسى وفرنسته، كما بلغت فى الاهتمام برعاياها على حساب المواطنين التونسيين .

واستمرت الاحوال فى تونس على هذا المنوال حتى برز من شبابها من تجاوب مع دعاة الاصلاح فى البلاد على النهج العربى الاسلامى، وكان ضمن هذه الجماعة عبد العزيز الثعالبي الذى يعد من ابرز رجالات الحركة الوطنية فى تونس .

### الاطماع الاستعمارية فى المغرب :

منذ أن وطأت أقدام فرنسا فى الجزائر فى عام ١٨٣٠ وهى تتربص ببلاد المغرب. وقد انتهزت فرصة تأييد القبائل المراكشية، وسلطان المغرب لحركة الأمير عبد القادر الجزائري وبدأت تتحرش بهذه البلاد، كما اجبرت سلطان المغرب على تسريح جيشه من منطقة الحدود، وتخطيط الحدود بين الجزائر ومراكش، واعطاء فرنسا حق الدولة الأولى بالرعاية فى النشاط التجارى بمراكش. وفى اعقاب ذلك ازداد تعرض مراكش للأطماع الأوربية، حيث كانت المانيا تطمع فى أن تجد لها موطن قدم فى مراكش مما أدى إلى تنافس حاد بينهما وقتت انجلترا خلاله بجانب فرنسا خاصة بعد عقد الاتفاق الودى ١٩٠٤ والذى تم بمقتضاه اطلاق يد انجلترا فى مصر فى نظير أن تبسط فرنسا سيطرتها على مراكش، مما أزعج الألمان وجعلهم يقومون باتصالات مباشرة مع حاكم مراكش، ومن هنا كانت زيارة الاميراطور الألماني وتليم الثانى لميناء طنجة فى عام ١٩٠٥ فى محاولة منه لافساد ما حدث من اتفاق بين انجلترا وفرنسا، وقيامه بالقاء خطاب أوضح فيه ضرورة أن تحافظ مراكش عن استقلالها، وطالب بأن تسير سياسة مراكش مع جميع الدول على مبدأ المساواة المطلقة، كما طالب بعقد مؤتمر دولى لبحث المسألة المراكشية .

(١) البشير بن عثمان: اءواء على تاريخ تونس الحديث، تونس، دار بوسلامه، ص ١٥

(٢) زاهية قلدوره: تاريخ العرب الحديث، بيروت ص ٤٦٤-٤٦٥ .

وقد عقد هذا المؤتمر في بلدة "الجزيرة الخضراء" بالقرب من جبل طارق، وكانت معظم نتائجه غير صالح ألمانيا وانتهى الأمر بهيمنة فرنسا على مراكش فيما عدا منطقة الريف التي حصلت عليها اسبانيا.

وفي اعقاب ذلك حدثت قلاقل في مراكش استنجد خلالها السلطان عبد الحفيظ بالفرنسيين وقد انتهزت فرنسا هذه الفرصة فارسلت حملة عسكرية إلى مراكش في عام ١٩١١ بحجة الاستجابة لرغبات السلطان قضت فيها على الاضطرابات، واعلنت سيطرتها على مراكش وبدأت في تجميع سلطاتها السياسية والعسكرية في ايدي ممثلها هناك <sup>(١)</sup> وأصبح السلطان تحت حماية فرنسا الفعلية، وبقيت القوات العسكرية الفرنسية تمارس عملها في مراكش حتى تم توقيع معاهدة الحماية الفرنسية عليها في ٣٠ مارس ١٩١٢ وبمقتضاها قيل السلطان حماية فرنسا على بلاده، ما عدا منطقة طنجة ومنطقة الريف التي تم تخصيصها لاسبانيا ونتيجة لذلك شرعت فرنسا واسبانيا في تنظيم امورهما في مراكش، ولكن الأمور أمامهما لم تكن سهلة حيث قاوم الاهالي الاحتلال الاجنبي لبلادهم سواء أكان هذا الاحتلال فرنسا أم اسبانيا.

الاحتلال الايطالي لليبيا :

بدأت ايطاليا تمهد لحرمة الاستعمار بعد تكامل وحدتها السياسية وقد تطلعت في بداية الأمر في الاستيلاء على تونس لقربها من شبه الجزيرة الايطالية، ولكثرة عدد الايطاليين المقيمين بها ولوفرة خيراتها، وبعد أن ضيعت عليها فرنسا هذه الفرصة اتجهت انظارها إلى ليبيا، وأخذت تمهد لنشر نفوذها هناك بشكل واضح وبأساليب عدة نذكر منها.

- ١- الاكثار من فتح المدارس الايطالية المجانية في طرابلس وبنغازي لنشر ثقافتها بين الأهالي.
- ٢- تشجيع الحكومة الايطالية لمواطنيها بالهجرة والاستقرار في ليبيا.
- ٣- ارسال البعثات الايطالية إلى ليبيا والتي كان ظاهرها بعثات تعليمية وباطنها لأغراض استعمارية.
- ٤- سعى الحكومة الايطالية لاقصاء الوالي العثماني "رجب باشا" المناهض للتواجد الايطالي.
- ٥- قيام فرع بنك روما في ليبيا بشراء الأراضي الزراعية من الأهالي.
- ٦- الدعاية الايطالية المكثفة حول مصالح الايطاليين في ليبيا عن طريق الصحف والبعثات الدبلوماسية وغيرها .

أما عن الدوافع والاسباب التي عجلت بغزو ايطاليا لليبيا فيمكن حصرها فيما يلي :

- رغبة ايطاليا في ايجاد مستعمرات لها في الخارج تجلب لها الخامات وتصدر اليها المصنوعات .
  - رغبتها في غسل العار الذي لحق بها نتيجة لهزيمتها أمام الأحمش في موقعة عدوة .
  - ضعف نفوذ الدولة العثمانية على القبائل الليبية ونفور الأهالي من تصرفات ولاتها .
  - عدم معارضة انجلترا وفرنسا في أن تطلق ايطاليا يدها في ليبيا.
  - زيادة عدد العاطلين في ايطاليا، وشعور الايطاليين بالنقص ازاء تطور الدول الاوربية الاستعمارية <sup>(٢)</sup>
- ونتيجة لكل ذلك وجهت ايطاليا انذارها إلى الدولة العثمانية في ١٧ من سبتمبر ١٩١١ وأشارت فيه إلى ما يلي :

<sup>(١)</sup> جلال نبي: المغرب الكبير، الفترة المعاصرة وحركات التحرر ص ٩٢٩

<sup>(٢)</sup> حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر، القاهرة مؤسسة سجل العرب ١٩٦٢ ص ٩٠

١- نظرا لأن سوء الأحوال في طرابلس وبنغازي يهدد مصالح إيطاليا في ليبيا ونتيجة لاهمال الدولة العثمانية لمصالح إيطاليا في ليبيا وتحريضها على اضطهاد الإيطاليين بخاصة والاوربيين بعامة فقد قررت الحكومة الإيطالية احتلال طرابلس .

٢- على الحكومة العثمانية القيام بتسهيل مهمة إيطاليا في احتلال ليبيا خلال ٢٤ ساعة (١) .

وعلى الرغم من هذا الإنذار المسافر من جانب إيطاليا فقد كان رد الحكومة العثمانية ضعيفا ومتخاذلا حيث تبرأت من عرقلتها لمصالح الإيطاليين في ليبيا وأوضحت حرصها على استتباب الأمن والنظام ، وأنها مستعدة لتقديم الضمانات الكافية لحماية الإيطاليين هناك إذا لم تلجأ إيطاليا لاحتلال ليبيا مما يعكس لنا مدى الضعف الذي حل بالعثمانيين، وعدم قدرتهم على مواجهة الاخطار المحدقة بالولايات التابعة لهم وفي اعقاب ذلك اعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، وارسلت قواتها لاحتلال طرابلس والخمس وبنغازي ودرنه متدرة بأن العثمانيين أرسلوا جنودا إلى برقة لتقوية حاميتها .

وعلى الرغم من محاولات الدولة العثمانية توسط الدول الكبرى في هذا النزاع، فقد وقفت هذه الدول موقف المتفرج خاصة وان موقفها العدائي من الاسلام كان معروفا، هذا إلى جانب أن لكل من هذه الدول أهدافها الاستعمارية الخاصة، ففرنسا تريد ألا تقف إيطاليا أمام أطماعها في مراكش، وانجلترا كانت ترغب في عدم معاكسة إيطاليا لها في مصر (٢) .

ونتيجة لقيام الاسطول الإيطالي بضرب طرابلس ثم احتلال مدينتي بنغازي وطبرق فقد استبسل الشعب الليبي في الدفاع عن بلاده، وهب العالم الاسلامي في كل مكان لنصرة اخوانه في الدين، وخلال ذلك بدأت إيطاليا في تعزيز قواتها العسكرية، كما هددت بتأليب دول البلقان ضد الدولة العثمانية واحتلال مضيق الدردنيل، مما اضطر الدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة مع إيطاليا عرفت باسم معاهدة لوزان تنازلت بموجبها لإيطاليا عن كل حقوق لها في ليبيا، مما جعل الشعب الليبي يواجه مصيره وحده أمام الضربات الإيطالية ويشعل حركة نضاله الوطني ضد الاستعمار الإيطالي بزعامة السنوسيين الذين خاضوا حربا اشبه ما تكون بحرب العصابات مما أنهك قوى الإيطاليين .

سيطرة بريطانيا على امارات الخليج وعدن والعراق :

أخذ الانجليز منذ أواخر القرن الثامن عشر في الاهتمام بمنطقة الخليج ومحاولة السيطرة عليه عن طريق عقد المعاهدات مع شيوخه وحكامه، ومن أمثلة تلك المعاهدات المعاهدة التي وقّعها سلطان مسقط مع بريطانيا في عام ١٧٩٨ والتي تنص على عدم سماح أهل مسقط للفرنسيين بالنزول إلى بلادهم في حالة حدوث حرب بين القوات البريطانية والفرنسية (٣) كما اتخذ الانجليز في مقاومتهم للقرصنة وسيلة لعقد المعاهدات فوقعوا معاهدة مع القواسم في رأس الخيمة تتضمن عدم مهاجمتهم للسفن الانجليزية، كما فرضوا حمايتهم على أهم المشيخات العربية في الخليج وهي مسقط والبحرين والكويت، وعقدوا مع حكامها معاهدات صداقة واتفاقات تجارية كان الهدف منها التمهيد لتوطيد نفوذهم في هذه المناطق (٤) يضاف إلى ذلك أن ظهور النشاط الألماني في هذه المناطق كان له أكبر الأثر في تدعيم النفوذ

(١) جلال يحيى: العالم العربي الحديث، القاهرة، دار المعارف ص٣٧٨.

(٢) محمد فؤاد شكرى: ميلاد دولة ليبيا الحديثة ص١٣١-١٣٢.

(٣) أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨ ص١٨١

(٤) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ص٦٦ وما بعدها

الانجليزى فى منطقة الخليج وبالنسبة لمحاولات الانجليز السيطرة على الجنوب العربى فقد لمس الانجليز اهمية عدن وغيرها. من موالى الجنوب العربى التى تخدم الملاحة الموصلة إلى الهند خاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر التى هدف منها بونابرت إلى تهديد مصالح بريطانيا فى الهند. ونتيجة لذلك أسرع بريطانيا فى عام ١٧٩٩ باحتلال جزيرة "بريم" الواقعة فى مدخل البحر الأحمر من الجنوب والقرية من عدن ليحكموا فى مدخل هذا البحر كما أسسوا مركزا تجاريا لهم فى "المخا".

وبالنسبة لعدن فقد عقدت اتجلا مع سلطاتها معاهدة صداقة وتجارة، ثم استغلت فرصة جنوح احدى سفنها بالقرب من شواطى عدن وادعت ان هناك اعتداء وقع على بحارتها، وارسلت قواتها لاحتلال عدن، وبعد مقاومة عنيفة من أهلها تمكن الانجليز من احتلالها فى ١٦ من يناير ١٨٣٩ بعد قصف بحرى شديد، واعتبروها جزءا من املاكهم لا يمكن التفاوضى أمام أى اعتداء عليه<sup>(١)</sup>.

وبالنسبة لاطماع بريطانيا فى العراق فقد ادرك الانجليز منذ احتلالهم للهند فى عام ١٧٤٨م أهمية موقع العراق كطريق للمواصلات البريطانية ونتيجة لذلك أخذت بريطانيا فى اقامة المراكز التجارية فى العراق، فبدأت شركة الهند الشرقية البريطانية فى انشاء خطوط بريدية منتظمة عبر العراق، وكان البريد ينقل بواسطة السفن البحرية من بومباى إلى البصرة ومن هناك يمر بمدن بغداد فحلب حتى يصل الى استانبول بطرق الدواب عن طريق البر ومن ثم اهتم الانجليز بأن تكون لهم اليد الطولى فى العراق، وبألا يسمحوا لأى قوى اخرى بمنافستهم فيه، ومنذ عام ١٧٦١ تحول نشاط المركز الرئيسى للتجارة الانجليزية فى الخليج إلى البصرة وأخذت تحصل من وراء ذلك على نفوذ سياسى فى العراق خاصة بعد ان تمكن الانجليز من توطيد صلاتهم برؤساء العشائر فى العراق، وبالحكام العثمانيين هناك، وبهذه الطريقة أمكن لبريطانيا بسط نفوذها على العراق هذا فى الوقت الذى كانت فيه المانيا تتطلع إلى مد نشاطها إلى ممتلكات الدولة العثمانية، فعقدت مع السلطان العثمانى عبد الحميد اتفاقا يقضى باتشاء خط حديدى من برلين إلى بغداد مما جعل الانجليز يضعون كل العراقيل امام هذا المشروع حتى قامت الحرب العالمية الأولى وأسرع الانجليز بإرسال قواتهم العسكرية من الهند لاحتلال العراق، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى كان العراق كله فى قبضة الانجليز يدبرون شئونهم، واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى جاءت قرارات مؤتمر سان ريمو san Remo لتضع العراق تحت الانتداب البريطانى، وتعلن سلخه من املاك الدولة العثمانية.

ونتيجة لسياسة كبت الحريات التى اتبعتها الانجليز فى حكم العراق واستغلالهم لموارده وربطهم العراق بالقوانين الادارية التى يتبعونها فى الهند، وفرضهم نظما لا تتفق مع اوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هب الشعب العراقى للدفاع عن بلاده، وبدأت الاضرابات والمظاهرات تعم كافة انحاء العراق ضد الحكم الانجليزى، كما بدأت يواكبر الحركة الوطنية فى الظهور.

وهكذا يتضح مدى استغلال الاستعمار الأوربى لضعف الدولة العثمانية، فزحف على العالم العربى مشرقه ومغربيه حتى تمكن من توطيد اقدامه فيه لفترة ليست بالقصيرة.

### الفن الطائفية فى لبنان :

تعرضت بلاد الشام بصفة عامة، ولبنان بصفة خاصة لسياسات الدول الاستعمارية المتصارعة على النفوذ فيها خاصة من فرنسا وبريطانيا فقد اعتمدت فرنسا على الموارد الكاثوليك فى جبل لبنان لتحقيق اطماعها وعمدت على تشجيع المؤسسات التنصيرية الفرنسية لتمد نشاطها على كافة المجالات

<sup>(١)</sup> جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط - ترجمه عمر الاسكندرى القاهرة ١٩٥٧ ص ١٢٢

المؤثرة على حياة الشعب اللبناني مما أدى إلى زيادة نفوذها، وبلغ من الصلة الوثيقة بين المواردية والفرنسيين أن تعين شيخا مارونيا نائبا لمتصل فرنسا في بيروت عام ١٦٥٥ ثم قتلها عام ١٦٦٢<sup>(١)</sup> كما اعتمدت بريطانيا على الدروز لتعزيد نفوذها في لبنان واستطاعت إثارة روح التنافس بينهم وبين الموزانة كل ذلك أدى إلى اشاعة الاضطرابات والفتن في لبنان وأدى إلى تفاقم الخلافات الطائفية التي راح ضحيتها العديد من الضحايا وقد بدأت الاضطرابات بهجمات قام بها الدروز في عام ١٨٦٠ على جماعات من النصارى في جنوب لبنان ثم الملبثت أن توسعت حتى أصبحت فتنة شاملة<sup>(٢)</sup> شملت كافة اتحاء سورية ولبنان، وزاد من وطأة الفتنة قيام عملاء فرنسا وبريطانيا بالذس بين الطرفين حتى حدثت المذابح التي راح ضحيتها الآلاف، ونتيجة لذلك انزلت فرنسا قواتها في بيروت في اواخر أغسطس ١٨٦٠ بحجة ايقاف الأحداث الدامية هناك وبعد أن هدأ الموقف تكلأت فرنسا في الانسحاب، حتى اضطرتها الحكومة الانجليزية الى الانسحاب، وتشكيل لجنة دولية لتقصي الحقائق. وبعد أن وصلت اللجنة إلى المنطقة وضعت تقريرا في عام ١٨٦١ يقضى بمنح الحكم الذاتي لمنطقة لبنان، وأن يكون على رأسها أحد المسيحيين يعين من قبل الدولة العثمانية بالتشاور مع الدول الاوربية وقد وافقت الدولة العثمانية على ذلك التقرير، وتم تنظيم لبنان على أساس طائفي بحيث يساعد الحاكم ١٢ شخصا منهم أربعة موارنة، وثلاثة دروز، وثلاثة من الروم الارثوذكس والكاثوليك، وسنى واحد وشيعى واحد، كما تم تقسيم لبنان إلى سبعة مديريات واستمر الحال على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الأولى<sup>(٣)</sup>

ومما سبق يتضح أن ضعف الدولة العثمانية أدى إلى تكالب الاستعمار الأوربي على الوطن العربي في محاولة منه لاقتسام املاك الدولة العثمانية فاستولت بريطانيا على مصر والسودان وامارات ومشيخات الخليج وجنوب اليمن، واستولت فرنسا على الشمال الأفريقي في معظمه فاحتلت الجزائر وتونس ومراكش، وتحكمت ايطاليا في ليبيا كما دست الدول الاستعمارية نفوذها في بلاد الشام في محاولة للنيل منه فبثت الفتن الطائفية بين افراده حتى تتمكن من سحق صفوفه. هذه كانت صورة العالم العربي قبيل قيام الحرب الأولى .

<sup>(١)</sup> رأفت الشيخ: مرجع سابق ص ٣٧٨

<sup>(٢)</sup> جورج انطونيو: مرجع سابق ص ٥٣

<sup>(٣)</sup> الشيخ: مرجع سابق ص ٢٨٠-٣٨١